Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يفكرون بجاهلية مثلك، ولا يحملون على أكتافهم سوى بنادق للصيد"، لذلك يخرج امرؤ القيس من الغرفة محبطاً وحزيناً، بينما نراه في القصة الثانية مع السيف الصدئ في المقهى العربي المعاصر يردد: اليوم خمر وغداً خمر، بحسب السخرية المريرة التي تتميز بها قصص فخري قعوار بعامة.

ومن الأمس القريب نرى فخري قعوار يأتي بقاسم أمين وزوجته وكتابيه الشهيرين في قصة (زوجة قاسم)، ليسخر من ازدواجية المثقف المتحرر في موقفه من المرأة. وقد بنى قعوار قصصاً أخرى من أصل تراثي شعبي، مبيناً في الهوامش ذلك الأصل، كما في قصة (المكوك) القائمة على حكاية عواد النجماوي، أو في قصة (بائعة الحليب).

وإذا كان الأمس الريفي القريب نبعاً ثراً لهاشم غرايبة أو سليمان الأزرعي (في مجموعته البابور -1992)، فقد بدا التاريخ الأندلسي نبعاً ثراً لهند أبو الشعر في مجموعتيها (الحصان)(12)، و(عندما تصبح الذاكرة وطناً)(13)، ففي الأخيرة تقوم قصة (كارمن) على رحلة الراوية -أم الكاتبة- إلى غرناطة، كذلك قصة (الرحلة)، وقصة (الحصان)، التي عنونت المجموعة الأولى. وسوى الأندلس تأتي (صفين) في قصة (الطريق إلى صفين)، من هذه المجموعة. بيد أن أمر التجريب والحداثة في هذه القصص يظل متواضعاً، إذ يترجح حول القصة التقليدية في استثمار الرحلة وفي الإلحاح على الاعتبار والموعظة.

***

بين التوشيح الساذج أو المفتعل لمتناصّ ما، وبين الفعل العميق في بنية القصة، تمحور حضور التناص حول المتناصّات الشعبية من أغنية أو مثل. وربما كان صنيع هاشم غرايبة في قصصة (المنديل-بيت الأسرار- رؤيا) وجواهر الرفايعة في قصة (سرّيج البيت)، وفخري قعوار في قصة (المكوك)، في رأس العلامات البديعة لما يوفره التناص من إيقاع أو يطلقه من نكهة أو يهجنه من لغة. ومن التناص غير الشعبي، يبدو من هذا القبيل، وبنسب متفاوتة، صنيع فخري قعوار في قصة (المكوك) أيضاً (المتناص الإنكليزي) وصنيع يوسف ضمرا في قصة (شرفة للورد)(14)، حيث توجه التناص إلى سانيتاغو نصار وإيما بوفاري واشتعالات عبد الله القيسي والعرس الفلسطيني لمحمود درويش.

لقد فعل التناص فعله في لغة وبناء القص. بيد أن فعل استثمار التراث كان أكبر، ومثله فعل الشعر. وفيما يعني هذا الفعل، فقد عرفت القصة وهم الشعرية